يأكل كل ما يجده من الاغاني سامًّا كان او غير سامٍّ ويأكل غيرها من الزحافات وقد سماهُ بعض المتكلمين في طبائع الحيوان اكّال الاغاني وهو المرسوم في صدر هذه النبذة

مشاهد اوربا

٢٢

متنزهات لندن وملاهيها

في مدينة لندن من الساحات والمتنزهات المطلقة لنزهة السكان ما مساحتهُ نحو ثمانية عشر الف فدان. اكبرها واشهرها ثلاثة وهي روض ردجنت وروض هيد وجناين كنسنتن. والاول منها مساحتهُ ٤٨٢ فدانًا وفيهِ معرض الحيوانات الذي انشيء بسعي همفري دافي العالم الطبيعي الشهير اغراء للسكان بالنزهة واستنشاق الهواء النقي لتطهير دمهم ونزع الدآمة من نفوسهم. وقد شاهدت فيهِ كل ما كانت نفسي تتوق الى مشاهدتهِ من الحيوانات الغريبة ما عدا الزرافة فانها ماتت من عهد غير بعيد على ما أُخبرتُ. واكبر هذه الحيوانات الفيل وهو على خشونة بدنهِ مركب لين للصغار يركبون على ظهرهِ عشرات فيسير بهم الهوينا. وقد اذكرني قول ابن حسن الجوهري في وصفهِ حيث قال

فيلٌ كرضوى حين يا — بس من رقاق الغيم بُرْدا
رأس كقلة شاهقٍ — كُسيت من الحيلاء جلدا
أذناهُ مروحتان أُسـ — ـدتا الى الفودين سندا
تلقاهُ من بعدٍ فتحـ — ـسبهُ غمامًا قد تبدّى
يخطو على امثال اعـ — ـمدةِ الخباء اذا تصدّى
او مثل اميال نضدْـ — ـنَ من الصخور الصمّ نضدا
متلفعًا بالكبريا — ءِ كأنهُ ملك مفدّى

لكنني لم أرَ فيهِ للكبرياء اثرًا بل بالضدّ من ذلك رأيتهُ يقف ذليلاً صاغرًا امام اصغر الاطفال يطلب منهُ ثمرةً او قطعة من الحلوى فيتناولها بطرف خرطومهِ ويلتقمها بأسرع من لمح البصر ثم يبسطهُ ثانية بسط السائل لكفهِ. ولم تمثّل امام عيني عظمة الانسان وترفعهُ على سائر انواع الحيوان كما تمثّلت في ذلك الروض فان ملك الغاب الذي يهزأ بالاسد ويجدل بالنمر الهندي الارض ويطعنهُ بنابهِ فيشقهُ من خاصرة الى

خاصرة يقف امام اصغر الاطفال كأنهُ اذل العبيد . ويتلوهُ في الضخامة الكركدنُ وفرس البحر والجمل ثم انواع مختلفة من الجواميس البريَّة الضخمة ولا سيما الجاموس الهندي ذي السنام الغليظ وحمار الزرد وحمار الوحش والايائل الكبيرة وكل ما يُصاد من براري اوربا واسيا وافريقية واميركا واستراليا وجزائر البحر حيث امتدَّ رواق السلطنة الانكليزيَّة وضرب سيَّاحها . فان رجال اوربا يضربون في الاقطار الشاسعة ومجاهيل الارض وكلما وقع في يدهم حيوان غريب او شيءٌ لا مثيل لهُ في بلادهم بعثوا بهِ اليها ليحفظ في معارضها افادةً لابناء جلدتهم وتذكارًا لهم . وترى امام كل حيوان من هذه الحيوانات قرطاسًا كتب فيهِ ان قد اهدى هذا الحيوان فلان الفلاني في الوقت الفلاني

وترى الاسود في هذا المعرض طويلة اللبد واسعة الاشداق تفغر افواهها من وقت الى آخر ثم تمطّى وتبسط خفافها كانها تتباهى باشهار انيابها وبراثنها . والاسد اصبر من اللبوة فتراهُ رابضًا في غالب الاوقات كانهُ علم ان لا مناص لهُ فكظم الغيظ ورضي بخسف العيش واما هي فتتخطر ذهابًا وايابًا ضجرةً ملولةً ومثلها الببر الهندي فانهُ قلما يقف لحظةً . وقد رأيتُ المصورين يصورونهُ ويتململون من عدم صبرهِ على الوقوف امامهم . وكل الضواري في اقفاص ابوابها من الحديد . والمجترَّات على اجناسها وانواعها كل زوج منها في بيت معدٍّ لهُ من حيث البرد والحرّ وكذا الدبَّابات ونحوها من خشاش الارض فانها كلها على انواعها واصنافها في بيوت يعادل حرُّها حرَّ الاقاليم الَّتي تعيش فيها . وهذا شأن الحيوانات الَّتي تعيش في الماء من التمساح واسد البحر وعجل البحر الى اصغر انواع الضفادع والحشرات المائيَّة . اما الطيور فلا تسأل عن اجناسها وانواعها ولاسيما نوع الببغاء فانهُ مختلف الاشكال والالوان كثير الصياح والزئاط وكذلك النسر الذي رسخت لهُ في نفوسنا صورة واحدة فان اشكالهُ كثيرة والوانهُ مختلفة ولاسيما لون رأسهِ وعنقهِ وهو قائم في اقفاصهِ ساكنًا رزينًا كانهُ الاسد في عرّيسهِ

ينام باحدى مقلتيهِ ويتَّقي باخرى المنايا فهو يقظان نائمُ

بخلاف صغار الطير الكثيرة البراقش فانها كثيرة الحركة خفيفة الروح تتباهى بألوانها الزاهية شأن صغار العقول

وهذه الحيوانات كلها تنتظر وقت طعامها بفروغ الصبر كأنها كلها عواطف واعصاب فتراها تقلق حينما يأتي حرَّاسها بالطعام حتى تخرج عن مقتضى طبعها . وقد رأيتُ أسد

البحر منها يثب من الماء الى البر ويزحف مستعيناً بزعانفهِ منتظراً سمكة ترمي اليهِ وقد ترمي السمكة في الماء فيعود ادراجهُ ويغوص وراءها ثم لا يستطيع صبراً فيثب الى البر ثانية وعلمٌ جرًّا الى ان يرمي لهُ الحارس كل ما معهُ من السمك فيعود الى الماء جذلاً طروباً

وقد اكلت هذه الحيوانات كلها في العام الماضي (١٨٩٢) لحم ٢٣٠ فرساً و١٥٢ عنزة و١٩٠٠٠ بيضة و ٦٠٠٠ كوارت من اللبن و٤٦٠٠٠ رطل من السمك وكثيراً من الضفادع والجرذان والفيران و٥٠٠٠ رغيف كبير من الخبز و ١٣٠٠٠ برتقالة و ٢٠٠ رطل من العنب و ١٢٠٠ رطل من التمر وكثيراً من العلف الاخضر واليابس . وبلغ ثمن طعامها كلهِ اربعة آلاف جنيه

وفي هذا الروض اماكن تزرع فيها النباتات ألّتي لا تعيش الاّ في الاقاليم الحارّة ويحمى لها الهواء بالبخار وقد رأيت هناك الكرم والنخل والبرتقال. وكان العنب حصرماً او تلاويح وهو كثير الحمل ولكنهُ صغير الحب

اما روض هَيْد (هيد بارك) فنزهة النزه في غضاضة اشجارهِ واتساق خمائلهِ وسعة مروجهِ وانبساط بحيرتهِ . ومساحتهُ ٣٩٠ فداناً . وهو من اقدم الرياض وقد اهتم بهِ ملوك انكلترا منذ اكثر من مئتين وخمسين عاماً ولهُ سور من قضبان الحديد محيط بهِ وتسعة ابواب كبيرة لمرور المركبات عدا الابواب الصغيرة لمرور المشاة وعلى احدها قوس نصر من الرخام الابيض بلغت نفقتهُ ثمانين الف جنيه وهو اجمل ابوابهِ وفيهِ نظهر مزية الرخام على ما سواهُ من حجارة البناء . اما الخمائل ألّتي في هذا الروض فما يفوق وصف الواصفين وهي كثيرة مختلفة الازهار

من نرجسٍ دانٍ ... كأعين ...
ومن بنفسجٍ ... في ...
وياسمينٍ كلون الـ ... متيمِ المهجورِ
وسوسنٍ كنجومِ ... اشرقن في ديجورِ

وغير ذلك مما يعجز القلم عن وصفهِ وكلها منتسقة بحسب اشكالها والوانها

زهرةٌ عند زهرةٍ عند اخرى ... كافتران الدينار بالدينارِ
او كاوراق مصحف من لجينٍ ... مُذْهَبات الاخماس والاعشارِ

او كطاقات بايدي الغيد الحسان وقد ابدعن في تنظيمها وتنميق حواشيها . وعند كل زهرة رقعة فيها اسمها العلمي والعامي حتى يستفيد العقل منها كما يتمتع النظر بها . ولم ار

جمال الربيع في بلد من البلدان ولا استثني سواحل الشام وربى لبنان كما رأيتهُ في خمائل هذا الروض . اما الأشجار وظلها الوارف فقد جمعتْ بين الهابة والرقة فترى اجذاعها سوداء او منتحة من المتعرشات بوشاح سندسي

فكأنّها حسبتْ تكشّف سوقها عارًا فغطّتها عن الأغصانِ
وكأنما الاغصان سوقٌ رواقصٍ قد قُيّدتْ بسلاسل الريحانِ

وهناك بحيرة صناعيّة طولها نحو ميل وكثير من التماثيل منها تمثال كبير لدوق ولنتن سُبك من اثني عشر مدفعًا من المدافع الفرنسويّة الّتي غنمها ذلك البطل الباسل من الفرنسويين في اسبانيا ووطرلو. وبجانب هذا الروض جنائن كنسنتن والى جنوبيها نصب عظيم للبرنس البرت زوج ملكة انكلترا المتوفى سنة ١٨٦١ انفقت عليهِ الامة الانكليزيّة مئة وعشرين الفًا من الجنيهات وهو من اجمل الانصاب واضخمها يبلغ ارتفاعهُ مئة وخمسًا وسبعين قدمًا وعمدهُ وتماثيلهُ من اجمل انواع الرخام والمرمر والبرنز والذهب وعلى زواياهُ الاربع انصاب لقارّات الارض الاربع حيث املاك انكلترا الوسيعة الاول يمثّل اسيا راكبة على فيل والثاني اوربا راكبة على ثور والثالث افريقية راكبة على جمل والرابع اميركا راكبة على جاموس وعلى جدران النصب الاربعة تماثيل ارباب الصناعات المصورين كنُرْنَر وريبلدس وروبنس وفان دَيك وميخائيل انجلو وليونردو ده فنيشي ورفائيل وهو جالس على عرش وعن يمينهِ ده فنيشي وعن يسارهِ ميخائيل انجلو. والنقاشين والبنائين وبينهم كلياكُس اليوناني وحيرام الفينيقي وبصليل الاسرائيلي ونيتوكريس المصري وميخائيل انجلو وهو جالس على عرش والنقاشون عن يمينهِ ويسارهِ . والشعراء ورئيسهم هوميروس وعن يمينهِ دانتي وفرجيل وعن يسارهِ شكسبير وملتن وغاتي. والمغنين كيتوفن وموزار . وفوق ذلك تماثيل على زوايا النصب تمثل الصناعة والتجارة والهندسة والزراعة وفي وسطهِ دكّة عليها تمثال البرنس البرت من البرنز المذهب وفوقهُ قبّة قوطية متدرجة في ثلاث درجات تنتهي بصليب كبير وعلى القبة كتابة كبيرة الحروف يقال فيها ما ترجمتهُ "من الملكة فكتوريا وشعبها لزوجها البرنس البرت علامة شكرهم لهُ لانهُ وقف حياتهُ على خير الجمهور"

والملاهي كثيرة في لندن فمشاهد التمثيل تبلغ سبعين مشهدًا وحلقات الغناء والطرب تبلغ خمس مئة ويتردّد عليها كل ليلة اكثر من ثلثمئة الف نفس او نحو مئة مليون نفس في السنة وقد زرت بعضها فلم اجد انها تقاس باوبرا باريس ولا باوبرا القاهرة . ولكن

التمثيل فيها حسن والخلاعة قليلة

ويدخل في هذا الباب المكاتب وكثير منها مجانيٌّ ويجد الطالب فيها اشهر الجرائد اليوميَّة والاسبوعيَّة والشهريَّة بين سياسيَّة وعلميَّة ودينيَّة وزراعيَّة وصناعيَّة وكثيرًا من الكتب العلميَّة والادبيَّة فيقرأُ ما يشاء منها ولا يطالب بدرهم . وكان امام المنزل الذي نزلت فيهِ مكتبة من هذا القبيل كنت ارى الناس فيها رجالاً ونساء جلوسًا حول موائد القراءة او وقوفًا امام مناصب الجرائد يطالعون فيها الى الساعة العاشرة ليلاً فهي تغني الفقراء منهم عن الاشتراك في الجرائد الكثيرة وتغنيهم جميعًا عن اضاعة الوقت في الملاهي الَّتي لافائدة لهم منها

طبائع النمل وبيظهُ

النمل من صف النحل والزنابير وهو يشبه النحل في بنائهِ وطبائعهِ وطرق معيشتهِ ولهُ اشكال كثيرة تبلغ ثلاثة آلاف عدًّا منتشرة في كل الاقاليم الحارَّة والمعتدلة . وكان في الارض قبل ان وُجد الانسان فيها ولم تزل آثارهُ في قطع الكهرباء الباقية من العصور القديمة. وقد وصفهُ المتكلمون في طبائع الحيوان من قبل ايام ارسطوطاليس وبلينيوس ووصل ما كتبوهُ الى العرب فلم يزيدوا عليهِ سوى الخرافات والاوهام مع كثرة النمل في بلادهم وسهولة البحث عن طبائعهِ . قال الدميري في حياة الحيوان الكبرى ما نصهُ :

النمل معروف الواحد نملة والجمع نمال ويرض نملة ذات نمل وطعام منمول اذا اصابهُ النمل وكنيته ابو مشغول والنملة ام نوبة وام مازن وسميت النملة نملة لتنملها وهو كثرة حركتها وقلة قوائمها والنمل لا يتزاوج انما يسقط منهُ شيء حقير في الارض فينمو حتى يصير بيظًا والبيض كلهُ بالضاد المعجمة الساقطة الا بيظ النمل فانهُ بالظاء المشالة . . . ويقال ان حياتهُ ليست من قبل ما يأكلهُ وذلك لانهُ ليس لهُ جوف ينفذ فيهِ الطعام ولكنهُ مقطوع نصفين وانما قوتهُ اذا قطع الحب في استنشاق ريحهِ فقط وذلك بكنيهِ . . . ومن اسباب هلاكهِ نبات اجنحتهِ فاذا صار كذلك اختطفت العصافير لانها تصيدهُ في حال طيرانهِ وقد اشار الى ذلك ابو العتاهية بقولهِ

واذا اسنوت للنمل اجنحة حتى يطير فقد دنا عطبهُ

هذا ما ذكرهُ الدميري من طبائع النمل والطبيعي منهُ خطأٌ سدًى ولحمة ثم اتبعهُ بكلام طويل لاعلاقة لها بطبائع النمل على الاطلاق . وقال القزويني في عجائب المخلوقات ان عمر النمل " لا يكون اكثر من سنة " وهو خطأ ايضًا . الاَّ ان علماء الافرنج اقتفوا خطوات علماء